المقدمة

يحدث ليلا ذلك الذي تحاول الأرواح الهرب منه نهارًا، الكوابيس، تدفق الذكريات، نبش الجراح، والجرائم، كلها وحوش تلتف برداء الظلام وتتسلل إلى الخارج من ثقب أسود ينفتح ليلاً.

مرحبا بك في عالم الليل، الذي لن يكون رحيمًا بك وسيصفعك بالحقيقة

حقيقة العالم وحقيقة ما يحدث ليلاً.

الاهداء

إلى من أهداني مظلة في يوم ممطر.

إلى من أسندني عندما سقطت جدراني

إلى عائلتي وأصدقائي.

الرقصة الأخيرة

في إحدى أمسيات أكتوبر، كان مسرح المدينة الكبير يعج بالحضور وكل الأنظار متجهة نحو الستار المغلق بانتظار بداية العرض. وفي زاوية مظلمة في الخلف يجلس شاب غامض وهو يفرك يداه بارتباك ويحدق في خشبة المسرح بشوق.

عندما أُطفئت الأضواء وارتفع الستار، ظهرت راقصة الباليه بفستانها الأبيض كأنها ملاك هبط من السماء. كان الشاب يراقبها بعينين ملؤهما الشوق والحب وهو يتذكر كل لحظة جمعتهما.

بدأت الفتاة بالرقص، وهي تتحرك بخفة الفراشة وكأنها ترقص فوق الغيوم، تتبعها نظرات الجمهور الراضية والمعجبة بأدائها ما عاد ذلك الشاب الذي لاحت على وجهه أمارات القلق فقد شعر بأن فتاته تتألم

كل حركة منها كانت تروي هذا الألم لكن لا أحد غيره شعر به فلا أحد يهمه طالما أنه يستمتع وفجأة توقفت عن الرقص ونظرت نحوه مباشرة، وابتسمت ابتسامة حزينة . شعر الشاب بأن الزمن توقف، واختفى الناس

من حوله لم يعد في المسرح إلا سواه وفتاته التي بدأت تتقدم ببطء نحو حافة المسرح وهي تتلاشى مع كل خطوة.

في اللحظة الأخيرة، عندما كان الشاب على وشك النهوض والركض نحوها، اختفت الفتاة تمامًا، كما لو أنها لم تكن هناك أبدًا. وغرق المسرح في الهدوء، فأحس الشاب بصدمة عنيفة تجتاح قلبه ثم انتفض من مكانه عندما لمست تلك اليد كتفه. وعندما التفت وجد عامل المسرح، رجل كبير في السن ينظر إليه باشفاق وهو يقول بهدوء:

_ان الوقت لتنساها يا بني، ألم تتعب من القدوم لهذا المسرح كل ليلة، دع روحها النقية ترقد في سلام وتقبل موتها، أعلم أنه صعب عليك لأنها كانت خطيبتك وماتت أمامك على المسرح ولكن حان الوقت لتتقبل هذا.

نظر الشاب إلى خشبة المسرح الفارغة ثم غادر مع العامل ، تاركًا خلفه ذكرياته القاسية.

لم تكن تلك الرقصة سوى مجرد وهم رسمه قلبه الحزين ولكنها كانت حتما الرقصة الأخيرة.

دفتر الطلبيات

هطلت الأمطارُ بغزارةٍ تلك الليلة، وكأن السماء تفرغ ما في جوفها دفعةً واحدة. انبعث من الطريق الضبابي ضوء سيارةٍ خافت، كان ياسين عائدًا إلى منزله في الضاحية الجنوبية من البلدة، وفجأة تعطلت السيارة.

وعندما نزل، لمح ضوءًا يتسلسل من منزل قريب على جانب الطريق. اقترب بحذر ودق الباب، لكن لم يجبه أحد. فتح الباب ودخل بحذر، فوجد في الداخل شمعةً مشتعلة على طاولة خشبية قديمة، وبجانبها دفتر بدا كأنه دفتر الطلبيات وكرسي هزاز يُحدث صوتًا مخيفًا. فتح ياسين الدفتر وبدأ يقرأ

"إذا كنت تقرأ هذه السطور، فهذا يعني أنك زائر جديد للمقهى. اطلب ما تريده مجانًا ودع التحلية لي.

وخُتمت الكلمات برسمٍ لوجه مبتسم بلون أحمر قانٍ يشبه الدم.

شعر ياسين برجفة تسري في جسده عندما قلب الصفحات واطلع على القائمة التي كانت تضم أعضاء ودماء بشرية. أغلق الدفتر بخوف، لكنه سرعان ما لمح كتابات تتشكل على غلاف الدفتر:

"لا يمكنك أن ترحل دون أن تطلب شيئًا.

وانقلب الوجه غاضبًا. هرول مسرعًا إلى الباب، لكنه كان مغلقًا. وبعد دقائق، انقطع التيار الكهربائي وانطفأت الشمعة كما لو أن أحدًا أطفأها. غرق الرجل في الظلام الدامس، وأنفاسه تتسارع والعرق يتصبب من جبينه. وفجأة، شعر بأصابع باردة تلمس كتفه من الخلف.

"كنت أنتظر زائرًا منذ سنوات، والآن أنت لي."

كانت هذه آخر كلمات سمعها ياسين قبل أن يسقط في دوامة من الظلام

في ذلك الصباح، تسللت أشعة الشمس من بين الستائر وانعكس نورها على الجدران تلك الغرفة، فتح ياسين عيناها ليجد نفسه ممد على السرير يحيط به البياض وفجأة جاءها صوت يقول :

-كيف تشعر الآن

كان صادرا من ممرضة تقف أمام الباب

غمغم ياسين سائلا:

_أين أنا ؟

فتقدمت الممرضة نحوه في حذر تخفي خلفها حقنة وأجابت بهدوء :

في مستشفى الأمراض العقلية.

وأنهت كلامها بحقن ذراعه واتسعت عينا ياسين بمزيج من الصدمة والرعب عندما لمح دفتر الطلبيات فوق الطاولة بجانبه ثم أطبق جفناه مجددا واستسلم لتأثير المخدر.

بيت العنكبوت

انتهت السماء من تزيين ثوب الليل بجواهر النجوم اللامعة، وانسابت أنفاس كانون الباردة لتحل ضيفًا ثقيلًا على حي السباكيين. كانت البيوت متراصة ومنحنية كالعجائز على أطراف الأزقة المتعرجة، غارقة في سبات عميق. في طرف الحي، يجثم شبح بيت قديم منسي، يلقبونه "بيت العنكبوت". حيث كانت خيوط العناكب تنسج قصصها بين زواياه وأركانه، تتشابك بين جدران ثقبتها الأيام ونوافذ متهالكة لم تصمد أمام زمهرير الزمن.

وكما نسجت العناكب خيوطها حول هذا البيت، نسج أهل الحي قصص الرعب عنه وتناقلوا أخبار الأرواح الضائعة التي تسكنه. لكن في الحقيقة، لم تكن هناك أرواح ضائعة، بل روح واحدة ينهشها الضياع تعيش خلف جدرانه. إنها روح ذلك العجوز ذو الجسد النحيل والوجه الشاحب والعينين الخضراوين الجاحظتين، الذي كان يدعى قاسم. لم يكن يغادر البيت إلا نادرًا، وكان يتجنبه الجميع مثل الوباء لغرابته. إذ كان قليل الكلام، كئيبًا على نحو قد يصيب الآخرين بعدوى الكآبة. كان يركل قطط

الشوارع في طريقه إلى السوق كل يوم خميس، وهو اليوم الوحيد الذي يتحرر فيه من عناكب البيت التي يظن أهل الحي أنها تقيده بخيوطها بقية أيام الأسبوع، كان قاسم يعود من السوق كل خميس وهو يترنح تحت ثقل الأكياس المليئة بالخضروات ولعب الأطفال وغزل البنات. لكنه يصل إلى البيت خالي الوفاض إلا من بعض الخضروات لطهيها، حيث يسرق أطفال الحي كل اللعب وغزل البنات، ويتركون له الخضار لأنهم لا يحبون تناولها.

في تلك الليلة، دخل قاسم المنزل ذو الأثاث القديم المغطى بطبقات كثيفة من الغبار. كانت الجدران مليئة بالشروخ، تكاد تسقط تحت وطأة الذكريات. خيوط العنكبوت تتدلى كستائر تغطي النوافذ المكسورة، تتسلل حزم الشمس من بينها لتنير الأرضية الخشبية المتهالكة. جلس قاسم على كرسيه الهزاز، محدثًا صوتًا مزعجًا وهو ينظر بعيون جوفاء إلى عنكبوت ينسج خيطًا جديدًا على حافة النافذة.

كان الوقت يمر ببطء وكأن أحدًا عطل عقارب الساعة انتقامًا منه. وفجأة ظهرت أمامه فتاة بوجه رخامي شاحب، ترتدي ثياب المدرسة، ينساب شعرها الليلكي على كتفيها وتلمع عيناها البندقيتان بذكاء.

_أبي، أين الألعاب وغزل البنات؟. قالت الفتاة بصوت يحاكي النسيم.
فأجاب الأب بحزن:

_لقد سرقوها مني يا عزيزتي، أنا آسف.

اقتربت الفتاة أكثر، ومدّت يدها الصغيرة نحو قاسم. لم يكن لديه خيار سوى أن يمسك يدها، شعر بدفء لم يعرفه منذ سنوات. ابتسمت الصغيرة، وتداعت حولهما خيوط العنكبوت كأنها ترحب بهذا اللقاء.

_ تعال معي يا أبي، أنا وأمي ننتظرك"، قالت الفتاة.

استجاب قاسم إليها، وشعر براحة لم يعهدها من قبل، وأغمض جفنيه للأبد.

هذه هي حكاية بيت العنكبوت؛ حكاية عجوز لم يتقبل موت زوجته وابنته في حادث سير، وأصبح يعيش بين خيوط العناكب كي لا يهجر آخر ذكرى تبقت من عائلته.

أردف الجد وهو يمسح على شعر حفيده الذي غطّ في نوم عميق، ثم حوّل بصره إلى النافذة، فرأى عنكبوتًا ينسج خيوطه في ظلام الليل، يتأنس بضوء الغرفة الخافت. فقام الجد بإغلاق النافذة وخلد إلى النوم، يحتضن وحدته، إذ لم يكن في الغرفة سواه.

مقهى الضلال المفقودة

كان الليل هادئًا في المدينة الصغيرة التي لفها رداء ثخين من الضباب

في ذلك الزقاق المظلم، انتهت قطة سوداء من التهام قطعة من لحم مشوي منحها إياها رجل خمسيني قبل أن يغلق مطعمه، وينصرف، في زاوية ذلك الشارع انتصب مقهى صغير كشبح وسط الضباب، يرتاده قلة من الزبائن المعتادين، ومعظمهم يعرفون بعضهم البعض.

في تلك الليلة، دخل رجل غريب المقهى، يدثر بمعطف أسود طويل وتختبئ ملامحه تحت قبعة من نفس اللون، جلس في الزاوية، طلب قدح من القهوة. كانت عيناه تراقبان المكان بحذر، وكأنه ينتظر شخص ما

بعد دقائق، دخلت إمرأة شقراء ترتدي ثوب أحمر طويل وكعب عالي وتضع في يدها ساعة ذهبية، جلست على الطاولة المجاورة للرجل الغريب. لم يتبادلا الحديث، لكن نظراتهما كانت تقول الكثير. وقد لاحظ النادل عمر غرابة الاثنين ولكنه لم ينبس بكلمة وواصل عمله، وفجأة انقطعت الكهرباء وغرق المقهى في ظلام دامس. ولم يستطع عمال المقهى اصلاح العطب بسرعة وبعد مضي نصف ساعة عادت الأنوار

ولاحظ عمر إختفاء المرأة بينما ظل الرجل الغريب في مكانه، يحتسي قهوته ببطء، وكأن شيئًا لم يحدث.

استجمع عمر شجاعته. واقترب من الرجل وسأله بلهجة حذرة:

- سيدي، هل تعلم أين ذهبت السيدة التي كانت تجلس في الطاولة أمامك.

رفع الرجل نظره إلى النادل وأجاب ببرود:

- لا أعلم ربما ذهبت للبحث عن ظلها المفقود.

شعر عمر بقشعريرة تسري في جسده. حاول أن يتجاهل الشعور وأكمل عمله. لكن شيئًا ما في نظرات ذلك الرجل الغريب جعله يشعر بالتوتر

في اليوم التالي، عُثر على جثة المرأة الشابة في زقاق خلف المقهى.
كانت هناك علامات واضحة على العنف، لكن لم يكن هناك أي دليل على هوية الجاني.

واختفى ذلك الرجل الغريب منذ تلك الليلة، وأصبح يطلق على المقهى، "مقهى الظل المفقود" وبعد مرور ثلاث سنوات على الحادثة، كان النادل عمر ينظف الطاولات في المقهى الذي أصبح خاليا من الزوار، وفي تلك اللحظة دخل من الباب رجل يرتدي معطفا أسود وقبعة وقد تعرف عليه

عمر فور دخوله، حاول أن يصرخ لكن الخوف علق في حنجرته مانعا صرخته من العبور، تسمر في مكانه وكان قوى خفية عطلت قدماها

تقدم إليه الرجل بخطئ بطيئة والأرضية الخشبية المتهالكة تئن تحت قدميه محدثتا صوتا مرعب، أيقن عمر أنها النهاية وسيكون مصيره كمصير تلك المرأة، أغمض عينيه بخوف، إلى أن مضت دقائق ولم يحدث شيء وعندما فتح عيناه ، لم يجد أحد أمامه لقد اختفى الرجل، وترك على احدى الطاولات ورقة صغيرة، أخذها النادل بحذر واتسعت عيناه صدمة عندما قرأ تلك الكلمات:

"ستذهب قريبا للبحث عن ظلك المفقود"

الشقة رقم٢٦

كان الظلام يلف ذلك الحي الحقير برداء داكن من السواد، الرياح تعوي كذئاب جائعة، تعزف مع الشتاء سمفونية البؤس والشقاء، على أطراف الشارع تنتصب بناية قديمة، يسطع من أحد نوافذها نور يحارب ظلمة الليل، وتعبث الرياح بستائرها المهترئة لتكشف عن رجل ثلاثيني ذو شعر أسود وملامح حادة وعينان رماديتان تفيضان برودة وقسوة، ينظر بين الحين والآخر إلى ساعة يده، ويدخن سيجارة ينبعث منها خيط من الدخان، ألقى نظرة أخيرة على ساعته ثم استنشق أخر نفس من السيجارة قبل أن يطفئها بيده ويرميها من النافذة، غادر البناية وسار في ذلك الزقاق المظلم يتبع رجلا حليق الرأس تغطي رقبته أوشام مخيفة وقبل أن يدخل الرجل حانة الحي، أخرج الثلاثيني من جيب سترته الجلدية مسدسه وأطلق رصاصة قاتلة اخترقت رأس ذلك الرجل ثم إختفى في الظلام دون أن يلحظ وجوده أحد، وعاد إلى شقته التي تحمل رقم٢٦ واستلقى على أريكته كأن شيئا لم يحدث، فهذه هي طبيعة عمله كقاتل مأجور يترك وراءه أجسادا بلا أرواح مقابل أوراق نقدية يضعها في خزنة سرية في شقته، لم يكن يؤمن بشيء، ولا يهتم بشيء سوى إتمام المهمة والخروج بأقل الخسائر. أغمض عينيه يستنجد النوم الذي لم يزره لأيام، وفجأة

سمع طرقات خفيفة على الباب، لم يكن معتادًا على الزوار، وبالأخص في هذا الوقت المتأخر. هيأ قادح سلاحه واقترب نحو الباب، فتحه بحذر وقبل أن يشهر بسلاحه تفاجأ بوجود فتاة صغيرة، بالكاد تبلغ العاشرة من عمرها، مغبرة الوجه يلتف جسمها الهزيل بثوب متأكل الأطرف

"أرجوك... ساعدني" همست الفتاة بصوت مرتجف.

كانت ملامحها تعكس رعبًا عميقًا، وعيناها الواسعتان المملوءتان بالخوف كانت تحملان قصص كثيرة، اخترقت نظراتها صمته وأيقظت داخله شيئًا كان قد نسيه منذ زمن. لم يعتد على مساعدة أحد، ولم يكن يعرف كيف يفعل ذلك. ولكنه قرر في تلك اللحظة أن يساعدها،

أدخل الفتاة إلى شقته، قدم لها كوبًا من الماء، وجلس قبالتها محاولًا فهم قصتها. بدأت الفتاة تتحدث عن حياتها لقد كانت لاجئة، هاربة من بلد مزقته الحرب. عائلتها قُتلت في إحدى الهجمات، وتمكنت هي من الهرب مع مجموعة من الفارين حتى وصلت إلى هذه المدينة. لكن الحظ لم يكن إلى جانبها، فقد وقعت في أيدي عصابة تستغل الأطفال في التسول والتجارة بالبشر.

بينما كانت الصغيرة تتحدث، كان هو يشعر بشيء يتحرك داخله، شيء يشبه الغضب ولكنه أعمق. كان يعرف العصابة التي تتحدث عنها الفتاة هي ذاتها التي يعمل معها لقد خدعوه بجعله يظن أنه يقتل فقط أولئك

المجرمين الذين لم يستطع القانون الوقوف في وجههم ولكنه علم الآن أنه كان يقتل أشخاص أبرياء، فقرر أن ينتقم لهم وللفتاة الصغيرة.

رفع سماعة الهاتف وبلغ الشرطة عن مقر العصابة ثم التفت إلى الفتاة وقال بصوت هادئ:

_ لقد انتهى كل شيء..لا أحد سيؤذيك بعد الآن.

ولأول مرة شعر بأنه فعل الصواب وبعد مضي دقائق اقتحمت الشرطة الشقة وألقي القبض عليه، كان يعلم أن هذا هو الثمن لكنه لم يهتم، كان هدفه الوحيد هو إعادة الآمان لقلب تلك الصغيرة، لم يكن يريد أن تشعر بالخوف الذي شعر به هو عندما كان في سنها، لقد نجح في منع ولادة قتلة مأجورين أخرين بابلاغه عن العصابة.

لأنه يعلم جيدا أن الطفولة القاسية مستنقع قذر يولد منه المجرمون والقتلة والمرضى النفسيين.

طيف من الماضي

في قرية صغيرة حيث الغابات الكثيفة تغطي الأفق والثلوج تكسو الأرض في معظم شهور السنة، عاش سعد رجل في الخمسينيات من عمره، في منزل خشبي قديم ورثه عن والده. كان سعد شخصًا وحيدًا، يعيش بعيدًا عن سكان البلدة الذين يعرفون عنه القليل. كان يعتمد على نفسه في كل شيء، يجلب الحطب من الغابة ويزرع القليل من الخضروات في حديقته.

في إحدى الليالي الباردة، بينما كانت العواصف الثلجية تعصف بالخارج، سمع سعد طرقًا على بابه. فتح الباب بحذر، ليجد رجلاً يرتدي معطفًا ثقيلًا، يغطي وجهه بوشاح صوفي رمادي لا يظهر منه سوى عينان تلمعان في ظلمة الليل، قال الرجل بصوت منخفض:

_هل يمكنني أن أجد مأوى لهذه الليلة؟ الطريق مقطوع والعاصفة لا ترحم.

على الرغم من حذره الطبيعي، وافق سعد على استضافة الرجل الغريب. قدّم له طعامًا بسيطًا وجلسا قرب المدفأة دون أن يتبادلا الكلام. كان الرجل ينظر إلى ألسنة اللهب المتراقصة بصمت، وشعر سعد بشعور غريب لكنه لم يكن قادرًا على تحديد ماهيته، مرت بضع ساعات وبدأ

سعد يشعر بالنعاس، ولكن شيئًا ما في سلوك الضيف منعه من النوم. بعد لحظات من الصمت المشوب بالتوتر، قال الرجل فجأة:

ـلماذا لم تسألني من أكون؟.

شعر سعد ببرودة تسري في أطرافه وسأل بتوتر:

-من أنت؟

ابتسم الرجل ابتسامة ساخرة وأجاب ببرود:

ـ أنا الماضي، يا سعد، الماضي الذي ظننت أنك دفنته منذ سنوات تحت الثلج.

توقف الزمن للحظة. تذكر سعد تلك الليلة التي لطالما حاول نسيانها. عندما استيقظ ليجد زوجته مقتولة في المطبخ وأثار أقدام في الثلج تشير إلى شخص هرب من المنزل بعد الجريمة. لم يعرف أحد القاتل، وظل السر مخفيًا في ظلام الليل.

قال الرجل بصوت هادئ لكنه قاسٍ:

ـسعد أنت قتلت زوجتك أليس كذلك؟.

لم يستطع سعد التحدث. كانت الذكريات تتدفق إلى عقله كالسيل الجارف. تلك الليلة كانت ضبابية في ذاكرته، لكنه تذكر الآن. تذكر كيف سمع زوجته في المطبخ تتحدث إلى شخص عبر الهاتف توحي كلماتها العذبة

بأنه عشيقها، شعر حينها بغضب عارم فحمل الفأس الصغير المعلقة على الجدار وأنهى حياتها ثم فر هاربا، كانت تلك الأثار، أثار أقدامه.

ـ لكن كيف تعرف هذا؟. سأل سعد بصوت متهدج، ووجهه شاحب كالثلج بالخارج.

ابتسم الرجل ابتسامة واسعة ثم رفع وشاحه ليكشف عن وجه كان سعد يعرفه جيدًا. كان وجهه هو، عندما كان شابا. ثم اختفى الرجل، كأن لم يكن. لكن سعد لم يشعر بالراحة. كان يعلم أن تلك الليلة ستكون طويلة وأن شبح ماضيه سيظل يطارده حتى اللحظة الأخيرة من حياته، ليذكره بأن الحقيقة لا تموت أبدًا، وأن كل جريمة تُدفن في الأرض الباردة، ستُبعث يومًا ما لتواجه صاحبها.

الطريق المظلم

في ليلة شتوية عاصفة، كان سامر يقود سيارته عبر طريق غابي مقفر ومظلم. كان الطريق طويلًا ومتعرجًا، والصوت الوحيد الذي يملأ الأجواء، هو صوت المطر الذي يرتطم بزجاج السيارة. يمزق الرعد ثوب السماء بين الحين والآخر فيضفي الرهبة على الرحلة.

كان سامر هاربًا من شيء لا يعرفه، ربما كان يهرب من ذكرياته أو قرار خاطئ اتخذه أو ربما كان يهرب من نفسه، الشيء الوحيد الذي يعلمه جيدا أنه لم يعد قادرا على البقاء في بلدته وعليه الهروب بأي ثمن.

وبينما كان يقود سيارته بسرعة جنونية، لمح فجأة شيئًا على جانب الطريق. كان هنالك رجل يقف تحت المطر، يحملق في الفراغ. تجاهله سامر في البداية، لكن شيء قويًا دفعه لتوقف، كبح الفرامل بعنف ثم رجع بسيارته حيث يقف الرجل. أنزل نافذة السيارة ورمق الرجل بغرابة، اذ لم يكن يحتمي من المطر وكأن قسوة الطقس لا تعنيه، سأله سامر إذا كان بحاجة للمساعدة، توجهت نظرات الرجل ببطئ نحوه، حدق فيه لثواني ثم فتح باب السيارة الأمامي وجلس إلى جانبه دون أن ينبس ببنة شفة

فاجتاح سامر شعور بالبرودة يسري في أطرافه رغم أن نظام تدفئة السيارة يعمل.

استأنف القيادة وظل الرجل غارقا في صمته.

بعد دقائق من القيادة في صمت تام، بدأ سامر يشعر بأن هناك شيئًا غير طبيعي. كان الرجل جالسًا بجواره لكنه لم يكن يشعر بثقل جسده عند كل انعطاف وكأنه غير موجود، أخيرًا، قطع الرجل حبل الصمت قائلاً بصوت هادئ:

ـأتعلم، كل الطرق تؤدي إلى النهاية، مهما حاولت الهروب.

شعر سامر بالرعب. فقد كانت تلك الكلمات التي نطق بها الرجل تحمل شيئًا أعمق من مجرد تحذير، حاول النظر إلى وجه الرجل، لكنه لم يستطع. كانت عيناه متسمرتين على الطريق أمامه، وكأنهما تجمدتا هناك.

ومع مرور الوقت، أدرك سامر شيئًا مرعبًا: لقد اختفت كل المنعطفات من الطريق، ولم يكن هناك أي مخرج. فقط طريق مستقيم مظلم يمتد إلى ما لا نهاية. وكلما استمر في القيادة، كلما تلاشت فكرة العودة.

اختفى الرجل من جواره وحاول سامر إيقاف السيارة ولكنه لم يستطع

أغمض عيناه وأبعد يديه عن المقود ولكن لا شيء تغير، كانت السيارة لا تزال تسرع في ذلك الطريق المظلم وحدها تحمل معها سامر إلى النهاية.

فجأة استيقظ سامر وصدره يعلو ويهبط بنفس مظطرب وحبات العرق احتشدت على جبينه، لقد كان كابوسا مخيفًا.

الحلوى مضرة بالأسنان

في ذلك المساء، كان يقف حافي القدمين يلسع البرد عظامه وتئن أمعائه بصوت مكتوم، يقف أمام واجهة بلورية لدكان بيع الحلوى، لا يتحرك أبدا يرنو إلى تلك السكاكر المزركشة والحلوى القطنية التي لطالما تمنى معرفة مذاقها، لقد أخبره الفتى الذي كان يعمل معه في بيع المناديل الورقية أنه سرق واحدة ذات مرة، وكان طعمها لذيذًا للغاية لكنها تنتهي بسرعة، ارتسمت ابتسامة لطيفة على وجهه وحدّث نفسه بأنه لو حصل على واحدة لن يأكلها كلها وسيحتفظ بها، لكن ملامح وجهه تغيرت عندما اصطدمت عيناه بقدميه الحافيتين، ربما كان حرّي به أن يرغب بحذاء بدل الحلوى، نظر مجددا إلى الحلوى وابتسم، في النهاية هو طفل والأطفال يشتهون الحلوى، ماذا لو طلب من البائع أن يعطيه قطعة واحدة لن تنقص شيئًا من كل تلك الكمية ثم إن البائع يبدو لطيفا جدا مع الأطفال في النهاية لا أحد يكره الأطفال.

مسح الطفل قليلاً من الغبار العالق في ثيابه ثم ابتسم وتقدم نحو البائع، فابتعد كل الأطفال عنه ترمقه نظارات الأمهات المنزعجة لكنه ظل يبتسم رغم هذا وقال باحترام للبائع:

_هل تستطيع منحي قطعة حلوى يا عم.

ألقى عليه البائع البدين نظرة إحتقار وصرخ منزعجًا:

_ اغرب عن وجهي أيها القذر، من أين لك المال لتدفع؟، انظر إلى اللافتة، هل مكتوب جمعية خيرية؟، طبعا أنت لا تستطيع القراءة، هيا اذهب من هنا ولا تُخف الأطفال، هيا قبل أن استدعي الشرطة.

أنزل الطفل رأسه بحزن وابتعد عن الدكان ثم نظر اليه من بعيد وشاهد البائع و هو يبتسم ويعامل الأطفال بلطف، طبعا ليس كل الأطفال فقط أولئك الذين يرتدون ملابس نظيفة وتحمل جيوبهم المال، رسم شبح ابتسامة مكسورة على وجهه وخاطب نفسه قائلاً:

_ لا بأس، أساسًا الحلوى مضرة بالأسنان، أمي كانت تحذرني من الإفراط في تناولها، لترقدِ في سلام يا أمي لن أكلها أبدا.

ندبة

كان الليل قد أسدل ستاره على المدينة، والسكون يخيم على الشوارع الخالية إلا من همسات الرياح التي تقص حكايتها للأشجار، في إحدى الزوايا المنسية، وقفت ليلى أمام مرآة قديمة معلقة على جدار غرفتها المتقشر. تتحس ندبة غائرة تمتد من زاوية حاجبها الأيسر إلى أسفل خدها. كانت تلك الندبة حاضرة في حياتها كذكرى لا تنسى، تحكي حكاية جرح قديم لم يلتئم في قلبها.

كان شعرها الأسود الطويل يغطي جزءًا من وجهها الشاحب، تظهر من خلفه عينان باردتان تنام تحتهما ظلال سوداء، كانت المرآة عدوتها ورفيقة وحدتها، تكره النظر إليها ولكنها تنظر فقط لتتأكد من وجودها بين جدران هذه الغرفة، كانت وحيدة ومنبوذة، تقدمت نحو النافذة وتأملت النجوم الساهرة في تلك الليلة الهادئة من ليالي أيلول.

ثم تنهدت بعمق وكأن هموم العالم تجثم فوق صدرها وتمنع عنها التنفس فكرت في تلك اللحظة، في أكثر فكرة مجنونة في حياتها، والأخطر كذلك، وهو القفز من النافذة ووضع حد لحياتها، لم تكن هذه المرة الأولى التي يراودها فيها هذا الخاطر المجنون، فتظل تفكر في سيناريو موتها وماذا سيحصل في والديّها المسافران بعد تلقيهم خبر انتحار ابنتهما الوحيدة، كان مجرد التفكير في ذلك يجعلها تبكي بلا توقف، ولكنها

سئمت العيش حقا، وقبل أن تنفذ ما عزمت عليه، ألقت على نفسها نظرة أخيرة في المرآة، لعل معجزة تحدث وتثنيها عن ما ستفعله، لكن لم يتغير شيء في شكلها، لا تزال تلك الندبة في مكانها وكأنها تحثها على فعل ما يدور في ذهنا، مشت ببطئ نحو النافذة وفتحتها، فلفح وجهها نسيم منعش، كان المنظر مخيفًا من الأعلى ومثيرًا للغثيان، لأنها تسكن في الطابق الرابع، لم يكن هنالك أي شخص في الشارع وكانت أنوار المنازل مطفأةً فالساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل وفي هذا الوقت لن يستطيع أحد إنقاذها ولا رؤيتها وهي ترتطم بالقاع، بكت كثيرا لهذا، فربما لو أمسك أحدهم بيدها وأخبرها أنها جميلة برغم وجود تلك الندبة كانت ستتراجع ولكنها وحيدة حتى في موتها، مررت ذكرياتها الحزينة في عقلها، التنمر الذي تعرضت له والاهانات ونظرات السخرية والشفقة فقررت فعلها حقا ، لكن قبل ذلك ستفعل أخر شيء، أخذت هاتفها وفتحت بثًا مباشرًا، روت للجميع قصتها وقصة الندبة، لقد كانت مراهقة حينها، وانهار سقف الفصل الذي تدرس فيه، فحاولت أن تنقذ صديقتها الوحيدة، لكنها لم تستطع وترك لها ذلك اليوم ندبة على وجهها تذكرها بتلك المأساة التي لم تستطع أن تتخطاها، ثم بدأت معانتها الحقيقية مع الناس من حولها.

أولئك الذين يرمقونها بنظرات شفقة وسخرية وتقزز، لم يتقبل أحد شكلها ولم يحبها أحد رغم روحها الطيبة، لأن البشر سطحيون جدا لدرجة أنهم يقيمون الشخص حسب شكله، يقتلون صرصورًا ويحبون فراشة، الشمس

تحترق لأجلهم ويتغزلون بالقمر، في النهاية هم فقط يركضون وراء تلك المظاهر لا غير، لا أحد تهمه الروح سوى ملك الموت.

إنطلقت ضحكات ساخرة منها، وهي ترى تلك التعليقات الزائفة المشجعة من متابيعها، وهي تعلم أنهم أنفسهم من سخروا منها ونبذوها هم فقط لا يريدون حمل ذنبها. أغلقت البث وتقدمت نحو النافذة، أغمضت عيناها

وفي لحظة سريعة، سحبتها ذراع من الخلف قبل أن ترمي بنفسها

فسقطت على أرضية الغرفة وغابت عن الوعي، وعندما استيقظت وجدت نفسها في المستشفى، مع والدتها التي أخبرتها أنها شاهدت البث فعادت بسرعة مع والدها ولأن باب الشقة كان مقفلاً من الداخل، اظطر والدها كسر الباب وتفاجأوا بها ملقاةً على الأرض فاقدة الوعي. صدمت الفتاة مما قالته أمها، فإن كانت قد أغلقت باب الشقة من الداخل ولم يكن مكسورًا قبل قدوم والديها، فمن الذي أنقذها؟.

الأحدب المنحوس

اتسعت عيناه عندما هوت تلك اليد الضخمة وصفعته حتى أسقطته على الأرض الموحلة، وجعلت ثيابه القذرة، تتسخ أكثر، واختلطت دموعه بزخات المطر التي بدأت تنزل من السماء المظلمة لتعانق ألمه، وتطهر ثيابه.

كان والده صاحب تلك الصفعة القوية وكان رجل ضخم الجثة، جاحظ العينين، أشعث الشعر، فوضوي الذقن، يواري يده اليسرى المبتورة خلف ردائه المهترئ، تقذف شفتاه الغليضتان بأقذر الشتائم التي لم يمنعها صوت المطر من الوصول إلى أذني إبنه الذي تمنى لو أنه فقد حاسة سمعه في تلك اللحظة، ثم ركله الأب بقدمه، وكأنه يركل حيوانًا للحضيرة، وقبل أن يدخل المنزل، التفت إليه قائلا وهو ينظر إليه بامتعاض:

_ اغرب عن وجهي، إن رأيتك هنا مجددا فسأسلخ جلدك القذر ذاك..هيا ارحل... كومة قذارة، ولد مشؤوم.

جمع أحمد ما تبقى من كرامته وغادر، كان يمشي في الطرقات و كل من يراه يتجنبه وكأنه وباء، تتبعه النظرات المستنكرة، كان وجوده يقلق الجميع ويثير إمتعاضهم، فجأة، توقف أمام بركة ماء تركتها المطر

ذكرى لطريق قبل أن تغادر قبل دقائق، نظر إلى إنعكاس ملامحه، كان وسيم الوجه ولا يختلف إثنان في ذلك، ذو قسمات حادة، وبشرة بيضاء، عينان بلون الزمرد المتوهج، وشعر أشقر كخيوط الذرة، لكن عيبه كان جالس فوق ظهره، ينغص عيشه، لقد كانت تلك الحدبة هي التي أفسدت مظهره، وجعلت والده يكرهه لم تكن الحدبة السبب فقط بل لأن والدته ماتت وهي تلده، ومنذ ذلك الوقت أصبح ولدًا منحوسًا، وانتشر الخبر في الحي وصار يلقب "بالأحدب المنحوس" لدرجة أن من يراه صباحا يعود لمنزله خشية حصول شيء سيء معه.

لقد كرهه الجميع ولا أحد أحبه ولم يفكر أحد في الاقتراب منه، إلا تلك الفتاة الجميلة، ليلى، إبنة جارهم الجديد، لقد كانت تتقرب منه بين الفينة والأخرى وتسمع أحاديثه التي لا تنتهي عن الكتب والروايات التي يقرأها. لقد وقع في حبها وظن أنها تبادله الشعور ذاته، حتى اكتشف في يوم سبب لطفها معه، لقد فعلت كل ذلك فقط لتثير اعجاب شاب ثري كان يزور الحي من حين لأخر لرؤية عمه، كانت فقط تحاول أن تبين له أنها فتاة صالحة وطيبة حتى مع ذوي العاهات مثله ونالت في النهاية مرادها وتزوجها ذلك الشاب وقبل أن تغادر سخرت منه وتركته خلفها يحارب نفسه وكسرت أخر مجاديف النجاة لديه واغتالت أمله. فرت دمعة خائنة من عينه عندما تذكرها ثم غادر الحي وواصل سيره في المدينة وهو يقلب نظره بين الناس والمنازل لم يكن أحد منهم إستثنائيا، كانت العيوب والعاهات تلاحق كلاً منهم. لقد رأها وهي تتشكل في هيئة ظل أسود يتبع

كل فرد منهم مهما كان جميلا وحسن المظهر وقوي البنيان كان يوجد عيب لربما لم يكن مكشوفًا لدى الناس ولا يمكن ملاحظته من الوهلة الأولى لكن وجوده مؤكد، سخر على نفسه وضحك بجنون ثم ألقى بنفسه إلى البحر وابتلعه سريعًا كوحش جائع.

ثم خرج ظل أسود من البحر وتلاشى في الجو.

كان عيبه الوحيد أنه ذو عيب مرئي.

الشمعة

التفت الأم زمرد ببطانية بالكاد تكفي لها ولولدها، لكنها حرصت أن تجعل الطفل النائم دافئًا في حضنها، فالصقيع حارق، شيء غريب ولكنه حقيقة كل ما اشتد البرد اشتدت نيرانه، كان الصغير نائم بأمان في حضن والدته، وهو يعلم أنه من المستحيل أن يتأذى هناك، تلك هي أكثر الأماكن أمنًا بالنسبة إليه، كان يشبه والده كثيرًا عيونه السوداء كحبات زيتون لامعة، بشرته الحنطية وأنفه الحاد، وخاصة شعره الكستنائي، وكأن القدر يسخر منها فأنجبت نسخة مصغرة من أكثر شخص تكرهه في هذه الحياة، لكنها لن تكرها ابنها أبدًا لهذا السبب فروحها متعلقة به وأنفاسها رهينة وجوده. أشاحت بوجهها إلى النافذة، كانت السماء خالية من مصابحيها، مظلمة وداكنة كحفرة عميقة بلا نهاية، هدأت العاصفة في الخارج، وبدأت نُدف الثلج تطرق الزجاج بلطف، ظلت تتأملها بهدوء وهي تحاول اختراق النافذة والدخول إليها، على الأقل هي تحاول لأجل ما تريد وماذا عنها؟، أم ثلاثينية شاحبة الوجه وكأنها خرجت لتو من مغسلة الموتى، رسم الشيب خطوطًا بيضاء على شعرها الفاحم، وإغتال ظلمته، أما جسمها فكان هزيلا جدا، بسبب قلة التغذية، إنها مجرد أم

بائسة تركها زوجها لغول اسمه الوحدة ينهشها ولولا وجود ابنها لوضعت حد لهذا الجحيم.

تنهدت بعمق وأنذرتها الدموع المحتشدة في عينيها الزرقاوتان بالنزول لو لم تطفئ تلك الشمعة وتخلد لنوم، ولأنها سئمت البكاء والنحيب أرادت فعل ذلك وقبل أن تطفيء الشمعة، تأملتها للحظات وهي تحترق لتنير المكان كانت تشبهها كثيرًا، فهي الأخرى تحترق حتى تضيء حياة طفلها، عفت عن الشمعة ولم تطفئ لهيبها.

"فذوبانها مسألة وقت لا غير ولم يعد في عمرها سوى القليل"

هذا ما حدثت به الأم نفسها قبل أن تخلد لنوم، لكن ليالي الشتاء طويلة ودائما ما تدُس في جعبتها سم المفاجآت، سقط ما تبقى من الشمعة على السجاد وسرعان ما تضخمت النار وبدأت تلتهم كل ما يعترض طريقها استيقظت الأم مذعورة ولم تفكر حينها سوى بانقاذ ابنها، منحتها غريزة الأمومة قوة لم يعهدها جسمها الهزيل وسارعت بحمل ولدها وألقته من النافذة الصغيرة إلى الخارج، بينما استسلمت هي لألسنة اللهب التي تقترب منها كوحش ضاري، لقد نسيت أن الشمعة حتى ولو ذابت وظل منها القليل لا يزال بامكانها أن تتمرد، ليتها كانت تعلم هذا من قبل لربما تغير الكثير في حياتها.

أربع جثث

كان الهواء ثقيلاً، محملاً برائحة الغبار والرطوبة حينما خطوا بأقدامهم الحذرة على السلم المتصدع المؤدي إلى الطابق العلوي. وقف الثلاثة أمام باب غرفة مغلق، تبادلوا نظرات قلقة، ثم تقدم أحدهم وكسر الباب بضربة قوية. وبمجرد أن انفتح الباب، صفعتهم رائحة نتنة، وكشف ضوء القمر المتسلل من نافذة مكسورة عن أثاث بالٍ وطاولة خشبية عليها أدوات طبية ملطخة بالدماء.

_يا إلهي، ماذا حدث هنا؟ هل أنتم متأكدون أن هذا هو المنزل الصحيح؟. تساءل أحد اللصوص وهو يزيح قناعه، كاشفاً عن وجه بملامح قاسية وعينين مرعبتين.

أجابه الآخر الذي لم يخفِ القناع جحوظ عينيه، ولم تخفِ بدانته ارتعاش جسده:

_أعتقد أن علينا الرحيل بسرعة. المكان يبدو مرعباً، ولا أظن أن هناك كنزاً هنا، ربما هي مجرد..

وقبل أن يكمل جملته، تلقى صفعة قوية من اللص مكشوف الوجه، تلتها صرخة غاضبة:

_كفاك جبناً! لن نرحل بمجرد رؤية بعض الدماء.

أراد البدين الاعتراض رغم خوفه، لكن كلمات الزعيم جعلته يصمت.

_خرسا! لم أحضركما هنا لتتقاتلا.

كان اللص الثالث مكشوف الوجه هو الآخر، لكن الظلام كان يخفي ملامحه، واكتفى ضوء القمر بإظهار جزء من شعره وملابسه. تابع حديثه بنبرة جادة:

_الدماء لا تزال دافئة، مما يعني أن هذه الأدوات استخدمت منذ وقت قريب.

بلع البدين ريقه برعب، بينما ظلت عينا اللص الآخر تجولان في المكان بحذر، حتى وقعتا على خزانة في زاوية الغرفة. توجه نحوها وحاول فتحها، لكنها لم تنفتح كما لو أن شيئاً ما يمسكها من الداخل. انضم إليه البدين، وبدأ الاثنان في سحب المقبض سوياً، حتى انفتح الباب بقوة وأقتهما أرضاً، وسقطت جثة رجل مسن فوقهما.

صرخ البدين ونهض الآخر بسرعة مذهولاً، بينما ظل الزعيم يحدق في الجثة بهدوء. مرت دقائق من الصمت المريب حتى نطق البدين بصعوبة:
_هناك علامة غريبة على جبين الجثة.

أسرع اللصان الآخران لتفحص الجثة، وتفاجآ بتلك الحفورة على جبين المسن. لم تدم دهشتهم طويلاً حتى سمعوا وقع أقدام تقترب من الباب.

تسللت أشعة الشمس عبر النافذة المكسورة، أضاءت الغرفة، وكشفت عن أثاث بالي وطاولة عليها أدوات طبية ملطخة بالدم

وأربع جثث على جبين كل واحدة رسم لفراشة بالدم.

بائع السعادة الحزين

في إحدى الليالي الباردة، كانت الأضواء الساطعة تملأ سماء المدينة الصغيرة، معلنة عن وصول السيرك. كان الجميع يتوافدون إلى خيمة السيرك الكبيرة، يتوقون لمشاهدة العروض المبهجة التي ترسم الابتسامات على وجوه الصغار والكبار. خلف الكواليس انتهى

المهرج ماهر، من من تزيين وجهه بالألوان البراقة ووضع أنفه الأحمر الكبير، كان ماهر أشهر شخصية في السيرك، يثير الضحك أينما حل ويبيع السعادة لناس بثمن بخس، إنها السعادة ذاتها الذي لم يستطع الحصول عليها كانت مثل فراشة جميلة يصعب إصطيادها كلما ظن أن أمسك بيها إذ به يفتح يديها ولا يجد شيئًا، قبل سنوات كان ماهر سائق أجرة بسيط يعيش مع زوجته وابنته الصغيرة في منزل مليء بالحب لكن كل شيء تغير عندما عاد ذات يوم ووجد المنزل قد احترق وماتت زوجته وابنته فتحطمت حياته بالكامل، وغرق في دوامة من الحزن الذي لم يعرف كيف يخرج منها.

هرب ماهر من ماضيه، محاولاً أن يجد السعادة في مكان آخر، إلى أن انتهى به الأمر في السيرك.، هناك، قرر أن يصبح مهرجًا، ربما ليخفي حزنه تحت قناع الضحك، أو ربما ليحاول إعادة إحياء السعادة التي فقدها. لكنه يستطيع الفرار من الذكريات التي كانت تلاحقه كظل لا يفارقه.

انتشله من لج أفكار صوت مقدم العروض وهو يناديه على المسرح، كانت يخطو ببطئ نحو الركح وهو يسمع أصوات الجماهير المشجعة والمتشوقة لعرضه، بينما كان هو يحاول رسم ابتسامة على وجهه

توقف قدماه في منتصف الركح وكل الأضواء مسلطة نحوه، يرى مئات العيون السعيدة تنظر إليه بفضول، بدأ عرضه وبدأت معه الضحكات تتعالى، لم يكن يؤمن بمقولة" فاقد الشيء لا يعطيه"

فقد استطاع هذه المرة أن يبيع الناس سعادة لا يملكها.

انتهى العرض وانطفئت الأضواء وعاد الناس إلى منازلهم، عاد ماهر إلى خيمته الصغيرة وبدأ بازالة مكياجها ببطء، لم يكن يرى في المرارة سوى رجل محطم لم يعد يعرف كيف يكون سعيدا، انسابت دموعه بصمت واختطلت بزينة وجهه وفجأة سمع صوت يقول:

_لماذا تبدو حزينا يا ماهر؟.

كان الصوت صادرا من إبنة أحد العاملين في السرك، كانت طفلة صغيرة لم تتجاوز العاشرة من عمرها، اعتادت مشاهدة عروضه كل ليلة

تفاجأ ماهر من سؤالها، ولم يعرف بماذا يجيب. لكنه، ولأول مرة منذ سنوات، شعر بأن هناك من يرى حزنه الحقيقي، خلف قناع السعادة الذي يترتديه دائما.

لم يستطع مقاومة رغبته في البكاء، فبكا كثيرا تلك الليلة، وتحدث عن ذلك الحادث وعن زوجته وابنته استمعت الطفلة إليه بصبر، ثم ابتسمت وقالت:

_يمكن للمرء أن يكون سعيدًا مرة أخرى، إذا سمح لنفسه بذلك.

كانت مجرد كلمات بسيطة، لكنها اخترقت قلب ماهر كأنها نور اغتال الظلمة داخله. ربما عليه أن يكون سعيدا لأجل عائلته.

في الليلة التالية، ظهر على خشبة المسرح مرة أخرى، مرتديًا زي المهرج المعتاد، لكن هذه المرة كان هناك شيء مختلف. كانت ابتسامته أكثر صدقًا وعيناه تلمعان ببريق جديد، لم يقضي على الحزن داخله ولكنه بدأ يعرف كيف يمزجه بخليط من السعادة، يبيعها لناس ويأخذ حصتها منها.

فريسة الحياة

تسير بين الزحام تحاول اللحاق بتلك الأرجل المتسارعة وهي تمسك بكفيها الصغيرتين علبة بها مناديل، علك ،وبعض السجائر. تجول بعينيها الزيتونية في تلك الوجوه لكن ما تبحث عنه ليس بينهم .

ثم يتهاطل المطر ليعبث بخصلات شعرها الفاحم يظهر من أسفله وجه تلاعبت بملامحه الأقدار فبدى شاحبًا مصفرًا كأوراق خريف متساقطة. لف جسمها الهزيل قطعة قماش ثوب مغبر تآكلت أطرافه.

تسير بقدمين حافيتين البؤس حليفها والخوف قرينها، طفلة إنطفأت شموعها وتمزقت طفولتها بين براثن الزمن، فبدت كلوحة مسها الندى فتداخلت ألوانها فصارت خربشة بلا معنى. تتسكع بين ثنايا الحياة وهي تتجرع مرارة الفراق؛ فراق والديها التي لم ترث منهما سوى ألم اليتم ودموع الأسى فأضحت بعدهم ضحية لأولئك القذرين الذين يتاجرون بالأطفال، تجر قدماها الهزيلتان ونظرات تلك الذئاب لا تكف عن رمقها بخبث. لقد سئمت حقًا إبتسامتهم الماكرة، شفقتهم المزيفة

ضحكاتهم المستفزة، وضعت كلتا يديها على أذنيها محاولة نفض هذه الأصوات عنها. ثم ابتعدت مسرعة كأنها تفر من قدرها لكن هل يحجب المرء عن قدره؟ ركضت إلى أن ارتطمت به، نظرت إلى الأعلى، إنه هو، والدها لقد عاد لينتشلها من العذاب. عاد ليمسك يدها ويأخذها معه. استوطنت الابتسامة ثغرها وسالت دموع فرحها. أخيرًا ها قد تحقق حلمها و قابلت أباها ثانية.

بعد ثواني إجتمع حشد من الناس لتنعقد ألسنتهم من هول المشهد، فتاة صغيرة مستلقية على الأرض في بركة من الدماء وقد إرتسمت على وجهها ابتسامة عريضة، لقد تعرضت لحادث سير أدى بحياتها وفارقت روحها جسدها المنهك.

لكن هل هي حقا ضحية الحادث؟ أم أنها ليست إلا فريسة هذه الحياة.

الأريكة الحمراء

انسابت أنفاسُ كانون الباردة لتحلَّ ضيفاً على المدينة، كانت تسير بصعوبة بسبب ثقل الأكياس التي تحملها، ألقت نظرة سريعة إلى ساعة يدها التي تشير إلى السابعة مساءً وحثّت الخُطى نحو شقتِها.

وفجأةَ، توقفت بجانبها سيارة سوداء، أخرج سائقها رأسه من النافذة وقال بصوت عالي:

_آنسة سارة اركبي لأوصِلك.

عرفته من صوته، إذ لم تكلف نفسها عناء النظر إليه، كان زميلها في العمل السيد أحمد، الذي حيكت قصص الحب بينهما من موظفي الشركة وليست على استعداد لتحول قصصهم إلى حقيقة، ثم إن عودة شابة عزباء إلى الحي في سيارة رجل غريب، جريمة لا تُغتفر والمذنب الوحيد فيها هي المرأة. رفضت دعوته قطعًا بحجة أنها تريد المشيء، فتركها وذهب. وصلت إلى المتهالكة الواقعة في حي شعبي وعيون النسوة تتابعها من نوافذ المنازل بفضول، صعدت الدرج وهي تترنح تحت ثقل الأكياس كانت شقتها بسيطة ومرتبة بعناية، تتوسطها أريكتها الحمراء التي

أحضرتها من المنزل قبل أن تتركه لزوجة أبيها اللئيمة، وضعت الأكياس على طاولة المطبخ ثم جلست على الأريكة وبدأت بتفقد الرسائل الصوتية مِن الهاتف الأرضي، فتحت الرسالة الأولى وكانت من صديقتها سمر التي كانت تبكي وتشكي لها خيانة خطيبها، ثم فتحت الرسالة الثانية والتي كانت من والدها الذي يطلب منها العودة إلى المنزل، زفرت بملل ثم فتحت الرسالة الأخيرة، لم يتكلم أحد لكن صوت أنفاس المتصل يفضح وجوده، إلى أن أغلق الخط، لم تبالي للأمر وأخذت حماماً ساخناً ثم جلست على أريكتها ترتشف قهوتها بهدوء وهي تتأمل زخات المطر وهي تطرق النافذة بلطف ثم تراءت لها ملامحها على الزجاج، كانت فتاة ذات ملامح عادية لكنها مميزة بطريقة ما، منحت لنفسها ابتسامة لكنها سرعان ما اختفت عندما ظهر انعكاس ذلك الظل على النافذة

لقد كان شخصًا يرتدي السواد يقف خلفها مباشرة.

انتفضت من مكانها وقبل أن تنطلق صرختها كتمتها يد ضخمة، حاولت التملص منها لكنها لم تستطع وفقدت الوعي.

في صباح اليوم التالي ارتفعت الطرقات الملحة على باب شقة سارة وبدأت سمر تشعر بالقلق، خاصة عندما سمعت صوت هاتف صديقتها المحمول يرن في الداخل، طلبت من صاحب العمارة فتح الباب ودخلت هي بحذر حتى دوت صرخة فزع منها عندما وجدت صديقتها ميتة على أريكتها الحمراء.

كان القاتل شخصًا أحبها فرفضته، ولم تكن تعلم العقد النفسية التي يعانيها، لقد قتلها لأن يكره الرفض.

لقد كان القاتل زميلها في العمل السيد أحمد.

اسمي جزرة

دخلت جزرة، فتاة صغيرة برتقالية الشعر حنطية البشرة لم يتجاوز عمرها العاشرة في تلك الليلة، فناء منزل قديم يرتفع إلى طابقين، تحيط به بقايا حديقة تشيء بالاهمال، في وسط الحديقة كان هناك حوض دائري من المياه الراكدة، تعلوه الطحالب والحشرات الميتة، وتحركت مياهه عند سقوط أولى قطرات المطر. ركضت جزرة نحت المطر نحو الباب الكبير وطرقته طرقات متتالية ، وبعد لحظات فتح الباب لتظهر خلفه امرأة بدينة، ترتدي ثوبًا رماديًا طويلًا، وترفع شعرها البني في كعكة أنيقة. نظرت المرأة إليها بتمعن كمن يقيّم بضاعة معروضة للبيع، وقالت بتهكم:

_ماذا لدينا هنا ساحرة صغيرة.

التزمت جزرة الصمت وأضافت المرأة:

_هيا اتبعيني.

كان ملجأ الأيتام من الداخل واسعًا، ذو أرضية خشبية متهالكة تصدر أصواتًا مخيفة مع كل خطوة. الأثاث قديم، والجدران مغطاة بصور لأشخاص يبدون وكأنهم يراقبون المكان، في وسط الردهة طاولة مستطيلة، وغرف متناثرة ودرج يؤدي إلى الطابق العلوي. كان الميتم هادئًا بشكل مخيف، كأنه مهجور، حتى ظهر أول طفل ثم الثاني، تبعهم

باقي الأطفال ووقفوا في طابور منتظم ورؤوسهم منحنية، تكاد تلتصق عيونهم بالأرضية الخشبية.

قالت المرأة التي بدت أنها مديرة الميتم بجدية:

_هذه زميلتكم الجديدة...

ثم التفتت إلى الصغيرة قائلة:

_ما اسمك.

ردت بصوت خافت:

_اسمي جزرة.

ارتفع صوت ضحكات المرأة المجلجلة فيما لم يبدو على الأطفال أي اهتمام، فقط رفعوا رؤوسهم ونظروا إليها بنظرات خاوية، سُرق منها بريق الطفولة. تساءلت جزرة عن سبب هذا الخوف المرتسم على ملامحهم. فوجدت الجواب في اليوم التالي، عندما كانت تجلس في فناء الميتم تستريح من الأعمال المرهقة التي توكل إليها هي وبقية الأطفال. فمن في مثل سنها ينظفون الميتم ويعدون الطعام، أما الأكبر منهم فيبيعون الزهور والفواكه والتحف في سوق المدينة. رغم هذه الأعمال الشاقة، لم تكن الحياة قاسية في الميتم حتى ذلك الصباح.

حين كانت جزرة تلقي بالحجارة في حوض الماء لتتشكل دوائر ثم تختفي. نظرت إلى انعكاس ملامحها الحزينة في الماء الراكدة وقالت لنفسها: "لقد تعبت جدًا"

فجأة، غُطس رأسها داخل حوض المياه، ولمحت الطحالب والحشرات الملتصقة بالحوض. احتبست أنفاسها وتباطأت دقات قلبها وكادت تختنق لولا أن تلك اليد التي تمسك بشعرها أخرجتها في اللحظة المناسبة. شهقت الطفلة وبدأت تسعل بشدة وقد احمر وجهها، ثم نظرت إلى مديرة الميتم التي تقف أمامها وهي تصرخ بحنق:

_من أذن لك بالراحة، أيتها الصعلوكة الصغيرة؟ هيا، انصرفي إلى عملك.

خضعت جزرة مكرهة لأوامرها. وأدركت أن معاناتها الحقيقية قد بدأت لتو، ولم يخطئ شعورها فقد تعرضت للعقاب أكثر من مرة وحرمت من الطعام وحُبست في القبو المظلم بسبب عدم اتقانها للأعمال التي توكل إليها. وفي إحدى الليالي قررت جزرة الهروب من الميتم.

فتسللت بهدوء من النافذة، وتسلقت الجدار الخارجي وسارت عبر الحدائق المظلمة، متجهة نحو بوابة الحرية. عندما وصلت إلى الشارع الرئيسي، شعرت بنسيم الليل البارد يلامس وجهها، وكان ذلك أول شعور بالحرية تذوقته منذ زمن طويل. بدأت جولتها في الشوارع، لكن سرعان ما اكتشفت أن الحياة في الخارج ليست كما تخيلتها. كانت الأزقة الملتوية

مظلمة تلمع فيها عيون اللصوص والمجرمين، رائحة الخمر تملأ الأرجاء وصوت الصراخ والشجار يصدح في الجو، كان كل شيء يوحي بأن الخارج أكثر قسوة، وفي النهاية عادت جزرة للميتم بخطوات ثقيلة محملة بالخيبة، دخلت إلى غرفتها وشعرت بالأمان عندما رأت الأطفال الآخرين نائمين في أسرتهم، وأدركت أن هذا المكان رغم قسوته، أفضل من ذلك المجهول الذي يجثم في الخارج. أدركت أن الخارج قاسي على من لا يملكون عائلة.

المنارة المنسية

تحت أشعة شمس الغروب، يتموج البحر الهادئ بلونه الفيروزي في انعكاس ساحر، الأمواج تلطم الصخور و النوارس تعانق البحر و تغني له.

وقفت نادية كاتبة الأفلام المشهورة على رصيف الميناء تنظر عبر منظار وردي إلى تلك المنارة المتهالكة التي تقع بعيدا على حافة منحدر صخري.

أعادت المنظار إلى حقيبة ظهرها وركبت القارب الصغير مع كهل من السكان المحليين للمنطقة.

شغل المحرك واستأنف القارب رحلته، ينخر عباب البحر، كان النسيم يتلاعب بخصلات شعرها المتمردة وهي تتأمل المنارة بفضول وتتذكر ذلك اليوم الذي سمعت فيه عن المنارة، كان ذلك قبل شهر من الآن عندما طلب منها مديرها في العمل الاتيان بقصة جديدة وملهمة مختلفة عن كل ما سبق، إلى أن سمعت عن المنارة والقصص التي حيكت حولها فوضعت الكاميرا في حقيبتها وقررت أن تخوض هذه المغامرة.
استيقظت من لج أفكارها عندما اصطدم القارب بالصخور، ساعدها الكهل

في النزول ثم وعدها بالعودة بعد إنهاء مهمتها، لم يكن خيار القدوم ليلاً جيدًا ولم تشعر بهذا إلا عندما أصبحت أمام المنارة الضخمة وحيدة والسكون يعم المكان إلا من صوت الأمواج وهي تضرب الصخور. أخرجت مصباحها اليدوي من حقيبتها وتقدمت نحو الباب القديم وعندما دفعته أحدث صوت صرير أضاف الرعب على المكان لينفتح أمامها ويكشف عن سلم حلزوني، تقدمت بحذر وصعدت ببطء السلم وهي تتلمس الجدران اللزجة وكأنها أحشاء حيوان، كان الصمت مطبقًا على المكان ما عدا صوت وقع أقدامها وأنفاسها التي تتردد بنسق متسارع.

وصلت إلى غرفة ضيقة، ينسكب نور القمر المتسلل من النوافذ الصغيرة على أرضيتها وعلقت على جدرانها لوحات زيتية لإمرأة جميلة تلمع تحت ضوء المصباح، فجأة، خبطت قدمها في شيء ما وعندما سلطت عليه مصباحها اليدوي وجدتها طاولة صغيرة فوقها رسائل وصور فتوغرافية، نفضت عنها أغبرة الزمن ووضعتها في حقيبتها ثم عادت أدراجها وعندما بدأ نور الفجر يتسلل في الأفق طاردًا جيوش الظلام جلست نادية تنتظر صاحب القارب. ليعيدها إلى الميناء وأثناء ذلك أخرجت الرسائل وبدأت بقرائتها، كانت من عامل المنارة إلى إمرأة ثرية من البلدة وأدركت نادية أنها المرأة ذاتها التي في الرسومات والصور، كانت رسائل حب لم ترسل من عامل بسيط لامرأة من الطبقة الراقية قرأت في نهاية الرسالة.

"كانت تحب البحر وكنت أحبها، فأصبحت المنارة تضيء فقط عندما يبحر القارب الذي يحملها، كنت منارتها لكي لا تضيع بينما ضعت أنا فيها. وعندما قلت زيارتها حتى انقطعت أغلقت المنارة للأبد لأنها لم تكن تضيء إلا لتنير طريقها".

هربت دمعة خائنة من عين نادية التي تأثرت بالقصة وأحزنتها حياة العامل المحملة بالانتظار، خاصة وأنها علمت بأنه ألقى بنفسه للبحر وأنهى حياته. فقررت أن تكون قصته فيلمها الجديد بعنوان "المنارة المنسية".

خريف الكرز

في قرية صغيرة حيث يغلف الخريف كل شيء بعباءة من الأوراق الذهبية، كان هناك منزل قديم يقبع على كتف الوادي. كانت نوافذه مغلقة دائمًا، وصوت الرياح يمر عبر الأشجار كأنه همسات خفية. داخل هذا المنزل، عاشت امرأة مسنّة تُدعى فاطمة، تعيش في عزلة ولا تقابل أحدا، وتوجس أهل القرية منها خيفة وظنوها مخبولة، وذات صبيحة من شهر أيلول عاد علي إلى القرية بعد ثلاث سنوات من دراسته بالخارج وكان معروفا بفضوله منذ صغره وما إن سمع بقصة فاطمة حتى عزم على معرفة سرها.

في تلك الأمسية الخريفية، طرق علي باب البيت ببطء، ولم يفتح أحد، وعندما دفع الباب تفاجأ بأنه مفتوح، سرت قشعريرة في جسده عندما دلف إلى الداخل، كان الصمت يغلف الجو بهالة من الرهبة والهواء مملوء برائحة خشب عتيق، مشى عل بحذر وعثر على فاطمة تجلس على كرسيها الخشبي بجانب نافذة كبيرة تطل على حديقة تتوسطها شجرة كرز عملاقة، كانت تتأمل الأشجار العارية من أوراقها يتلاعب النسيم بأغصانها، وينسكب عليها نور القمر الذي توسط السماء، تلك الليلة

اقترب علي منها بحذر وألقى عليها السلام وقبل أن يبرر سبب دخوله المنزل دون إذن أردفت العجوز بصوت عميق:

_أعلم سبب مجيئك، جئت كي تنفض الغبار عن سر هذا البيت.

واصلت العجوز كلامها قبل أن تترك لشاب فرصة التوضيح.

_ حياة البشر مثل الأشجار، يجعلها الصيف يابسة هشة،ثم يسلبها الخريف أوراقها ويتركها عارية أمام عواصف الشتاء إلى أن يهديها ربيع الحياة أوراقها

وتخضر من جديد، هذه هي دورة الحياة الشجرة التي لا تتحمل شدة الصيف وحزن الخريف وقسوة الشتاء لن تصل إلى الربيع وكذلك هو الانسان، لقد زرعت أنا وزوجي شجرة الكرز قبل أن يرحل، إنها وهذا البيت أخر ذكرى منه.

صمتت لحظة، ثم أكملت: "في كل خريف، أجلس هنا وأراقب أوراق الكرز تتساقط، أشعر بذكريات تتساقط مع كل ورقة.

أردفت هذه الكلمات ثم عادت إلى صمتها وأدرك علي أن السر لم يكن شيئا مخيفا كما توقع، وإنما مزيجا من الحب والعزاء.

وفي كل خريف، كان يمر بجانب منزل فاطمة، يتوقف ليرى أوراق الكرز المتساقطة.

أسير الساعة

في عمق مدينة قديمة، حيث الأزقة المظلمة والبيوت المتداعية، كانت هناك ساعة برجية كبيرة في ساحة مهجورة. منذ سنوات، توقفت عقارب الساعة عن الحركة وهي تشير إلى الثانية عشر، فتوقف الزمن وكأن أحدهم قرر الانتقام من الوقت واعتبر الناس الساحة مكاناً مهجوراً، تملؤه الأشباح والقصص الغامضة.

وفي إحدى الليالي المقمرة، قرر سامي إستكشاف الساحة واصلاح الساعة، أحظر معه مصباحاً صغيراً ومجموعة من ادوات التصليح. وعندما اقترب من الساحة شعر بشيء غير طبيعي، كما لو كانت الساعة نفسها تناديه بصوت خفي. كانت العتمة كثيفة، والريح تعوي بين الأزقة وكأنها تشي بأسرار مخيفة.

دخل سامي إلى الساحة، وتوجه نحو الساعة. كانت معالمها مغطاة بطبقة كثيفة من الغبار والعفن، والألوان الأصلية قد تآكلت بفعل الزمن. بدا أن الساعة نفسها غارقة في سبات عميق، كأنها تنام في غياهب النسيان. وفي لحظة لم يعيهاحدث شيء غريب. بدأت عقارب الساعة تتحرك ببطء، ثم فجأة توقفت عند الرقم "١٢" مجدداً. لكن هذه المرة، لم يكن الصوت

العادي للساعة، بل كان صوتاً خافتاً، كأنما هو همس قادم من أعماق الزمن. اقترب سامي من الساعة، وعندما نظر من خلال الزجاج المتآكل، رأى داخل الساعة مشهداً غير عادي.

كان يرى صورة لرجل يرتدي ملابس قديمة جداً، يحاول ضبط عقارب الساعة باستخدام مفتاح ضخم. بدا الرجل مشوشاً ومضطرباً، وكأنما يحاول إصلاح خطأ غير قابل للإصلاح. عندها، شعر سامي بتثاقل في صدره، وكأن الوقت نفسه يتلاعب به.

أحس بشيء يسحبه إلى الداخل، وعندما حاول الهروب، وجد نفسه في ساحة مختلفة تماماً، لكنها مشابهة لتلك التي تركها. كانت الساعة لا تزال في المنتصف، لكن كل شيء حولها كان مختلفاً، وكأنما الساحة قد تغيرت إلى زمن آخر. في الزمان الجديد، وجد نفسه أمام رجل عجوز، يرتدي نفس الملابس التي كان يرتديها الرجل داخل الساعة، وكان يبدو وكأنه في انتظار سامي.

قال الرجل بصوت خافت:

_لقد أسرتك الساعة وما من مهرب.

في اليوم التاي اجتمع حشد من الناس حول شاب يصرخ ويهذي وبدت عليه معالم الجنون وهو يشير إلى الساحة وتحديدا إلى تلك الساعة

كان الشاب، سامي.

يلا تنام

كان ضوء السراج ينير تلك الخيمة الصغيرة في مخيم اللاجئين، يكشف ظل أم تضم إلى صدرها جسما صغيرا ملتفا في قطعة قماش ينبعث صوت غنائها من الخيمة ويتسلل إلى بقية الخيام

"يلا تنام يلا تنام،

وادبحلاك طير الحمام،

روح يا حمام لا تصدق،

بضحك على عمر تاينام.

كان زوجها أيوب يجلس في الخارج يتكئ على بندقيته ويحرس الخيمة، يتطلع بتوجس بين الحين والآخر إلى السماء التي احتشدت فيها الغيوم، لم يكن خوفه من المطر والبلل فليس المطر فقط ينزل من السماء.

تمتم ببعض الأدعية، وواصل حراسته وصوت غناء زوجته يمنحها شيئا من الآمان، وفجأة حصل ما كان يخشاه وسبقت القذائف المطر ونزل وابل منها على المخيم، دخل أيوب إلى الخيمة مسرعا وأخذ زوجته وابنه وهرب بهم إلى أبعد نقطة لكن القذائف كان تتساقط في كل مكان وارتفعت ألسنة اللهب وتحول الليل إلى نهار، ثم صدح في الجو

صيحات فزع متتالية إنطلقت من كل إتجاه وتداخلت الأصوات بين من يبحث عن والده ومن يبحث عن جثة إبنته ومن لم يجد بقايا جسده

سيارات الإسعاف تنعق وسيارات الإطفاء تلهث تحاول ترويض النيران وبقايا الحجر والشجر وأشلاء بشرية كلها مبعثرة في الطريق.

تلك دمية ممزقة تمسك بها يد وباقي الجسد غير موجود وتلك أم تبحث عن أطفالها تحت الركام، وذاك شاب يصارع النيران التي بدأت تأكل جسده.

احترقت كل الخيام ولم يعد هنالك شيء سوى الدمار والأشلاء ورائحة الدم المختلطة برائحة لحم بشري محروق، ضم أيوب زوجته وابنه ولم يستطع منع دموعه من الإنهمار، بينما ظلت الأم تغني وهي تحمل جثة ابنها المتفحمة لقد مات منذ الأمس، وكان والده يبحث له عن قبر بينما قررت الأم دفنه في صدرها والغناء له كل ليلة.